

العنوان:	الدلالات الاجتماعية للأزياء الشعبية
المصدر:	آداب الرافدين
الناشر:	جامعة الموصل - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	محمود، موفق ويسبي
المجلد/العدد:	ع 29
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1997
الشهر:	كانون الثاني
الصفحات:	190 - 200
رقم MD:	160184
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	التراث العربي، الأحوال الاجتماعية، الأزياء الشعبية، التراث الشعبي، الدلالات الاجتماعية، العادات و التقاليد
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/160184

الدلالات الاجتماعية للأزياء الشعبية

موفق وسي محمود*

مقدمة

الانسان يعيش في عالم من الاشارات... هذه حقيقة تجعلنا يقظين علي الدوام لالتقاط ما يوجه الينا من «رسائل» مختلفة من مصادر تحاول أن تقول لنا شيئاً. هذه الاشارات تبتق أمامنا في كل شيء... لغات كثيرة غير صوتية تجعلنا نعيش في ضجيج آخر، ضجيج صامت.

فكما تقول جوليا كرسيفا «فالتحديد الرئيس الذي يؤثر في أية ممارسة اجتماعية يكمن في حقيقة انه يرمز... أي انه يستخدم مثل اللغة، بعبارة اخرى لا أحد يتكلم فقط فكل حدث كلامي يشمل نقل الرسائل خلال «لغات» الاشارة البدنية والوقفة والملبس وتصنيفه الشعر والعطر والنير والسياق الاجتماعي... الخ»^(١)

الملابس واحدة من مصادر الاشارات، والازياء الشعبية بنوع خاص غنية جداً بمدلولاتها، ويوحى لنا تنوعها المائل بأن هناك الكثير من «القول» يتجاوز الحاجة التي فرضتها الطبيعة على الانسان لاتخاذ الملابس، لا بل أن التأكيدات الشعبية على انواع معينة من الازياء والالوان تفصح عن ارتباطها بقيم وعادات وسلوكيات ذات طبيعة ثقافية.

وفي الصفحات التالية محاولة لتتبع هذه الفكرة، فكرة التنوع الكبير في الازياء بين الشعوب والأقاليم، هذا التنوع الذي يبدو أنه يتجه نحو الانحسار امام طغيان انواع موحدة من الازياء- على الاقل في خطوطها العامة- والتعرف في ذات الوقت على بعض الدلالات الاجتماعية للازياء الشعبية والتغير الذي لحق بهذه الدلالات برصنها صورة منعكسة لواقع ثقافي واجتماعي متغير.

تحديد مشكلة البحث

الازياء الشعبية واحدة من وسائل التعبير الثقافي لأي مجتمع، فهي ذات دلالات يمكن فهمها في ضوء التراث من قبل كافة المشتركين فيه، وهذا يعني ارتباط الازياء

الشعبية بعناصر الثقافة في المجتمع وهي بسبب طبيعتها المادية الظاهرة يمكن أن تعبر بوضوح اكبر عن ذلك القطاع اللامرئي من الثقافة، عن القيم والمعتقدات والافكار، وقد اوضحت لنا الدراسات الأنثروبولوجية وجود هذا الارتباط بين الأزياء والوانها وبين ما يختزنه المجتمع تحت سطح الملاحظة العابرة.

هذه الأهمية للأزياء الشعبية تتعرض اليوم لخطر الاقصاء من الميدان الاجتماعي والثقافي بفعل التغيرات السريعة التي تشهدها المجتمعات. وتحت ضغوط متعددة ايدولوجية ومادية فان الكثير من رموز الأزياء ودلالاتها ستختفي مفسحة المجال بالطبع لرموز ودلالات جديدة ذات مضامين مختلفة.

هدف البحث

يسعى هذا البحث الى تسجيل صورة عامة للدلالات الاجتماعية للأزياء الشعبية مع تأشير تأثيرات التغيرات الثقافية عليها.

منهج البحث

يستخدم هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي في محاولة استكشاف ما وراء الصفة الظاهرية ومعرفة الدلالات الاجتماعية للمادة الاثنوغرافية.

المبحث الاول

دلالات الأزياء... تأريخياً

ترتبط الفكرة العامة الاولى لنشأة الملابس بالخلج من العري، وقد وردت اشارة اليها في القرآن الكريم في سورة الاعراف «... فلما ذاقا الشجرة بدت لها سواتها وطفقا يخصفان عليها من ورق الجنة». (٢) ونجد مثيلاً لهذا في العهد القديم في سفر التكوين اذ بعد ان اكلت حواء من شجرة معرفة الخير والشر «فانفتحت اعينها فعلمتا انهما عريانان فحاطا من ورق التين وصنعا لها منه مآزر». (٣)

وهناك فكرة ثانية ترجع نشأة اللباس الى اغراض حماية الجسم من تأثيرات الجو، وهي فكرة شائعة ايضاً.

ولكن الاثنوبولوجيون نظروا للمرضع من زاوية اخرى، ففتن جيمس شريف تربط فكرة اللباس بالسحر، اذ الهدف من تغطية اجزاء من الجسم هو لائقه العين الشريرة. (٤) في حين يرى وستر مارك ان «اللباس احدى الوسائل البدائية لابراز الجاذبية وتجميع اصولها اسماً الى الدوافع الغزلية، ويحايل وستر مارك ان يدلل على نكرة بالترين في بعض المناسبات الخاصة مثل الرقص». (٥)

آراء الاثنولوجيين هذه تنقلنا قديماً الى موضوع وجود دلالات للآزياء تتعدى المنفعة المباشرة لها وتربطها بمدلولات يمكن النسخ على منوالها ، فيكون وفق ذلك للآزياء مدلول ما منذ أن عرف الانسان الاول فائدة ان يضع جلداً اضافياً اضافياً فوق جلده ، ولعله كان يختار جلوداً لحيوانات بعينها ليلبسها فتمنحه قوتها من خلال انتقال قوة الحيوان عبر جلده الى الانسان الذي يلبسه ، اذ أن طبيعة المعتقدات السحرية ترى ان الاشياء التي كانت متصلة ببعضها تحافظ على هذا الاتصال بعد انفصالها وهو ما يعرف باسم (السحر المعدي) .^(٦)

وقد يكون هذا أصل المعتقدات الشعبية التي تفترض قوة خارقة لبعض الثياب فتى لبسها المرء حصته ضد الامراض والاعداء مثل جلد الاسد والذئب والغزال .^(٧) ولعله من المفيد الاشارة هنا الى أن القدماء اعتقدوا أن اللباس هو المرء نفسه او هو على الأقل قسم منه ، وأن في تبديل اللباس تعبيراً عن تبديل الشخصية ، واذا ما تبادل صديقان ثيابهما كان ذلك دلالة على انها تبادل نفسيهما .^(٨) لهذا فضل الانسان أن يلبس جلود الحيوانات الكاسرة كالاسود والتمور والديبة ، كما يمكن ان «تشير» هذه الملابس الى قوة الفرد وبأسه اذا استطاع قتل الحيوان المفترس وسلبه جلده ، وفي هذا كانت تكمن القوة السحرية لانتقال قوة الحيوان اذ ان الآخرين كانوا «يحترمون» هذه القوة عندما «يفهمون» الاشارة .

وقد بقيت للآزياء اهميتها ودلالاتها المختلفة على مر عصور الانسان «فهناك بلا شك (نظام لغوي) للخطر والآزياء»^(٩) وارتبطت الآزياء الشعبية بالنسبة لاختيار الوانها واساليب تفصيلها وقواعد ارتدائها واستعمالاتها والزخارف والنقوش التي تطرز عليها بممارسات ومعتقدات شعبية بعض هذه الدلالات والرموز والمعتقدات التي ترتبط بالثياب يتصل باغراض شعائرية او سحرية او علاجية مختلفة ويؤدي التشاؤم والتفاؤل ومنع الحسد واغراض الشفاء دوراً كبيراً بالنسبة لها^(١٠)

وفضلاً عن ذلك كله كان للآزياء دلالات اجتماعية ترتبط بالمركز الاجتماعي والمهنة والالتقاء القبلي والقومي والديني ، فالآزياء والوانها كانت دائماً رايات للجاعات . تتساوى في ذلك الجماعات الصغيرة والكبيرة .

فالالوان مثلاً ذات علاقة وثيقة بكثير من الجوانب الثقافية ، فهناك الوان مفضلة والوان ممقوتة باختلاف اليبثات والشعوب وباختلاف السن والجنس ، أو انها ترتبط بالناسبات كاللون الاسود الذي يرتبط بالحدا والحزن (في بعض المجتمعات يدل اللون الابيض على الحدا) أو يكون لها دلالات تمييزية ، فمثلاً اللون الابيض كان شعار بني

أمية واللون الاسود شعار بني العباس في حين أن اللون الاخضر شعار العلويين ، ولا يقتصر استخدام ترميز هذا اللون على الرايات التي يرفعونها وانما يمتد ليشمل ملابسهم التي يؤكدون من خلال الوانها انتماءهم للجماعة ، ويذكر الصابي في كتاب (رسوم دار الخلافة) « انه كان العباسيون من ارباب المراتب زهم السواد بالاقية المولدة والخفاف ولهم منازل في شد المناطق والسيوف وتقلدها.. » (١١)

ولا زالت العامة الخضراء تميز الاشراف من سلالة آل بيت النبي (ص). كما ميزت الالوان خلال الفترات التاريخية السابقة بين الافراد قوميا ودينيا فقد كانت « جباب اليهود سوداء ، والاقباط حنطية ، واهل السوس زرقاء ، ولبس العرب من سكان المدن الالبسة البيضاء فيما عدا تجار العيد الذين تكون البستهم الخارجية حمراء قبيحة. » (١٢) ولا يزال الناس الذين يعتقدون في أثر الكواكب على حياة الانسان يبخرون لكل كوكب بخوره الخاص ويلبسون في يومه المميزه من ايام الاسبوع ملابس تتفق مع لونه. فيوم السبت يبخرون لرحل ويلبسون الثوب الاغبر والاسود ، ويوم الثلاثاء يبخرون للمريخ ويلبسون الاحمر والاصفر، ويوم الجمعة يبخرون للزهرة ، ويلبسون الثوب الابيض والاخضر ولون الورد المترج. (١٣)

واضافة الى الالوان فإن لشكل الزي ونوع القماش المستعمل في خياطته وطريقة توشيته وتوشيعه وتذييله دلالات على الموقع الاجتماعي للفرد ومعتقده الديني ومهته .. فللاغنياء ملابسهم الخاصة وكذلك للفقراء ومتوسطي الحال والزهاد « فالكاهن لا يلبس المصبغ والعراف لا يدع تذييل قبضه وسحب ردايه ، وكان لحرائر النساء زي ولكل مملوك زي ، ولذوات الرايات زي ، واللاماء زي. » (١٤)

وهكذا لكل فئة من الناس زي يعرف بها وتعرف به ، ومن خلال تتبع تطور الملابس العربية في العهود السالفة نجد انه كانت هناك ملابس خاصة للخلفاء ، واخرى للوزراء وثالثة للافراد والقواد وكذلك ملابس خاصة لكل من القضاة والفقهاء والكتاب والخطباء والمؤذنين والشعراء واصحاب الجيوش وولاة الحرب كما للحرس والتجار والخدم ، كما كانت هناك ثياب للحرب واخرى للمناسبات الدينية وثالثة للسنادمة .

واستخدم الدراويش لانفسهم شارة هي عبارة عن جلد نعجة على اكتافهم او خرقة يخلعها الشيخ على المرید وتعني ان المرید أصبح ذو شخصية جديدة وان هذه « الخرقة » خلقت وحدة روحية بين المرید وشيخه. (١٥)

وتعتبر « الصوفية » ذاته لعله مأخوذ من الصوف الذي كان رمزاً للخشونة وعند الآشوريين كانت الملابس الخشنة مخصصة للمذنبين وطالبي التوبة (١٦).

وفي موقف مشابه يقول انجلوس سيلسيوس أحد كبار الشعراء الصوفية المسيحيين من القرن السابع عشر « من أحب دخول الجنة فعليه ان يلبس حريراً أبيض في روحه ولبنه » (١٧)

ومن الجدير بالملاحظة في هذا المقام ان بعض فرق الدراويش وطوائفها تتسب بالتسمية الى أزياء معينة أو البسة خاصة ، فثمة طريقة اسمها « الطيلسان » وطريقة اسمها « الرداء » وأخرى اسمها « المترز » (١٨)

ولعل في هذا دلالة على استخدام الأزياء والألبسة بوصفها ذات دلالات اجتماعية او فكرية ، او يوصفها علامات فارقة لجماعات اجتماعية .

وقد كانت العبادة من ألبسة الرجال ، ولكنها لم تكن في زمن الخلفاء الراشدين من فاخر اللباس ولا لباس سراة القوم ، وكان ابوبكر الصديق (رض) يلبس العبادة لزهده في الدنيا وتخليه عن فخامتها .

واذن كان اللباس دوماً يعكس حالة مرتديه وموقعه الاجتماعي وقد تطور بتطور المجتمعات الانسانية وتعددت اشاراته وزادت متعلقاته ومتطلباته .

وقد لاحظنا من خلال الاستعراض التاريخي المبسّر أنه كان للأزياء دائماً اشياء تقوها ، وكان الناس يفهمون هذه الاشياء ، فنظرة واحدة الى الخليفة كانت كافية ليعرف الناس انه ذاهب الى الصيد والقتص لانه يرتدي ملابسها . واذا رأينا رجلاً يجلباب موسى أدركنا انه من عليّة القوم فان كان يضع عمامة خضراء عرفنا انه من آل البيت .

اي ان الأزياء شاشات عرض لواقع حال من في داخلها ، أو لافتات تصرح بما يريد لايسها للناس ان يعرفوه عنه .

المبحث الثاني

ثوابت .. ومتغيرات

دلالات الأزياء هذه والتي تعرفنا على بعض يسير منها ، ماذا بقي منها الآن .. وهل لازالت الازياء الشعبية تؤدي ذات ادوارها؟

من الواضح ان هذه الدلالات جزء من الازياء ، لذا قد تتغير بعض معانيها او تتحور وتدل على معاني جديدة ولكنها لا تمحى .

فالعبادة التي كانت تمثل الزهد في الدنيا أصبحت دلالة على الوجاهة ولاشك ان تغييرات اخرى حدثت في هذا المجال .. وهذا ما سنحاول تفصيله فيما نجده حولنا من رموز واشارات ودلالات للأزياء .

لاشك ابتداءً أن بقيت للالوان مدلولاتها كما كانت سابقاً ، فالأخضر لازال يدل على الاتساق الى آل البيت والبيوتات الدينية ويتمثل على الأغلب بعمامة خضراء ، وراية بني العباس السوداء اقتضرت في الغالب على الدلالة على الحزن .
وبشكل عام تدل الالوان الغامقة على الرزانة والاحترام فيما تدل الالوان الفاقعة والصارخة على الطيش والخفة .

ويلبس الشباب من كلا الجنسين ملابس بالوان متنوعة وقصات مختلفة كنوع من الدلالة على الحدائة او الاعتقاد بأفكار جديدة او مستوردة او كدليل على رفض ما متعارف عليه .

إلا ان القاعدة الأساسية تبقى بانك « بقدر ما تعني بمظهرك الخارجي فأنت تخدم وتستقبل بتعظيم وتجد طريقاً الى بيوت الكبار » .^(١٩)
كما أن شكل الزي الذي ترتديه يمكن أن يضعك او يدل على مركز اجتماعي معين ، فان لبست زبوناً وسترة ووضعت على رأسك غترة وعقالاً وعلى كتفك عباءة مطرزة فأنت « شيخ » أو متنفذ في العشيرة وستعامل على هذا الأساس وستنادى بـ « يا محفوظ » .
وان كان لباسك اورياً بربطة عنتى ونظارات ، ولا بأس من اضافة حقيبة يد دبلوماسية ، فان الناس سيبدأون تعاملهم معك من حيث انك رجل متعلم او متقف ويعبرون عن ذلك بلقب « استاذ » .

وفي العراق يمكن ان نجد قدراً كبيراً من دلالات الأزياء هذه بسبب تنوع الثقافات الفرعية من جهة وبسبب التغيرات السريعة التي أدخلت طرزاً جديدة من اللبس أضطرت للتعايش مع الطرز القديمة ، لذا نجد اللباس التقليدي موجود جنباً الى جنب مع آخر صيحات المودة .

هذا التنوع أوجد امكانية كبيرة جداً لظهور تنوعات في الأزياء وفي دلالاتها فالأزياء العربية تختلف عن الأزياء الكردية وهذه تختلف عن ازياء اليزيدية التي بدورها لا تشبه ازياء التركمان .

ولباس المدن يختلف عن لباس الريف الذي يختلف عن لباس البادية ، وهناك تنوعات كثيرة تدل على الاختلاف في الديانة (مقارنة بين لباس رجل دين مسلم ورجل دين مسيحي) أو على المهنة او على الاختلافات الطائفية .

وحتى داخل التقسيمات الأساسية للأزياء نجد تقسيمات فرعية أكثر دقة تحتاج الى معرفة اكبر بخصائص الجماعات واماكن عيشها وعلاقاتها مع غيرها من اجل التعرف على مدلولات ازيائها ، فمثلاً داخل الازياء الكردية هناك «خطوط ازياء» فرعية تدل على

القوارق الدقيقة بين الاكراد أنفسهم. فالزي الكردي في السليمانية يختلف عن الزي الكردي في دهوك في اتساع السروال وفي شكل «اللفة» غطاء الرأس وفي طريقة شد الحزام.

فضلاً عن الدلالات الاخرى لنوع القماش والوشى الذي يضاف اليه ، فهذه ملابس «الاغاء» ونساء بيته وهذه ملابس لعامة الناس ونسائهم .

ومن الأمثلة الفريدة في موضوعنا الأزياء الشعبية الخاصة باليزيدية وهؤلاء يتوزعون على ثلاث مناطق رئيسة هي سنجار والشيخان وبعشيقه وعلى الرغم من كونهم ابناء ملة واحدة إلا اننا نلاحظ ان يزيدية بعشيقه يختلفون في ملابسهم عن يزيدية سنجار وشابيون المسيحيين والمسلمين الذين يعاشونهم في منطقة بعشيقه ، فبدلاً من الرداء الابيض الذي ينسدل على سروال ابيض وفوقه سترة من اللباد وغطاء رأس من نفس النوع ، وهذا هوزي الرجال ، نجد اليزيديين في بعشيقه يكفون بسوال عادي عريض من اعلاه ضيق عند فتحة القدمين وهو النوع الشائع لدى اصحاب المهن في الموصل ، ويرتدون فوقه قميصاً عادياً وسترة أوربية وقد يضعون غترة وعقالاً عربيين .

ونجد بين العشائر العربية دلالات مشابهة ، فهناك فروق بين الشماغ والغترة ، فحين يكثر الاول في الجنوب يكثر استخدام الثانية في الشمال والعقال الغليظ نجده في الجنوب في حين نجد العقال الرفيع بين بغداد والموصل .

وتدل طريقة ارتداء الزي نفسها على موقع صاحبها ، فالشماغ يلف بطرق عديدة غير ان اكثر لفاته احتراماً هي المعروفة باللفة ذات الطية الواحدة^(٢٠) «وللباس الرأس عند المسلمين اهمية دينية ، اذ يجب أن يغطي الرأس في جميع المناسبات الرسمية ، والعمامة ارفع البسة الرأس واكثرها محافظة . ويجب ان تكون في افضل اشكالها كبيرة بحيث اذا نشرت غطت جسم صاحبها ... ولحجم العمامة ولونها معان خاصة بعضها دقيق يرمز الى المحافظة أو الى بعض الخصائص الشخصية والمكانة الاجتماعية ...»^(٢١)

وهكذا يمكننا ان نجد العشرات بل المئات من الاختلافات الطفيفة والكبيرة لو امتلكنا معرفة واسعة ودراية بالأنواع المختلفة للأزياء حسب القوميات والأتحادات الأثنية ، ففي مجتمع كمدينة الموصل مثلاً بوصفها مركزاً لتجمع جماعات مختلفة يمكن تمييز الافراد بحسب قومياتهم ودياناتهم وحتى مناطق سكناتهم من البستهم الشعبية .

ومن البديهي ان هذا الامر لا ينطبق على العراق فقط ، وقد ذكر أنوليتان في تقريره عن ثقافة المصريين فضلاً عن الأزياء قسم فيه ازياءهم تقسيماً راعى فيه البعد الاجتماعي والبعد الجغرافي فذكر ان هناك :^(٢٢)

١- ملابس الاغنياء.

٢- ملابس اعيان أهل البلد الوطنيين.

٣- ملابس الصناع.

٤- ملابس الفقراء.

٥ ملابس الفلاحين.

كما أوضحت دراسة عن «الزار» في مصر أن «للاسياد» (وهم الجان والعفارت) صفات محددة ، وهذه الصفات يعبر عنها بان «كل واحد من الأسياد يتطلب نوعاً معيناً من الملابس يتماشى مع مكانته وصفته» .^(٢٣)

ولازالت اشكال الأزياء الشعبية وطرق تفصيلها ترتبط بعقائد شعبية وطقوس معينة ، وكذلك الحال بالنسبة الى الزخارف التي تطرز عليها اذ يغلب ان تكون لغرض معين كمنع الحسد او الرغبة في جلب الخير او ضمان الاكثار.^(٢٤)

الأزياء الشعبية اذن جزء من الموروث الثقافي المتمثل بانتاج مادي وفني يعبر عن نفسه باشكال شتى ويفصح بالمقابل عن عمق المعتقدات الشعبية وقوى الضبط السلوكي . لذا نراها تجد مكانا في عالم الأساطير والخرافات والخيال الشعبي ، فالغرض ليس كساء الأبدان فقط ولكن لها جانب آخر يرتبط بعلاقات الانسان مع الانسان وعلاقاته مع البيئة من حوله .

ويمكننا في النهاية ان نستعرض الكثير جداً من الفروقات والتشابهات التي تعرفنا على دلالات لغة الأزياء وتجعلنا نفهم هذه التشابهات والفروقات بوصفها تعبيراً عن الحياة او التمايز.

المبحث الثالث

ما وراء الأزياء الشعبية

استعرضنا فيما سبق بعض الدلالات الاجتماعية والأشارات الفكرية للأزياء الشعبية ، وسنحاول فيما يأتي التعرف على ما يكن خلف الأزياء الشعبية من مبررات لكل هذا التنوع .

في المقام الاول ترتبط الأزياء بما يريد الافراد والجماعات التعبير عنه فتستخدم وسيلة اتصال تنقل الى الآخرين اشارات تؤكد الانتماء او تؤكد التمايز . وكلما تنوعت الجماعات تنوعت ازيائها وهذا يعني ان الزبي الشعبي اعلان ذواتها من يؤكد في احدهما انتهاء الفرد الى جماعة معينة ، ويؤكد في الثاني اختلافه عن الجماعات الأخرى .

ففي نظام الطوائف الحرفية هناك زي للحدادين يختلف عن زي القصابين وزي الخزافين يختلف يختلف عن زي النجارين ، اي انه كلما كانت المهنة نتاجاً «فردياً» كانت للزي دلالة اجتماعية تعلن التمايز، ولكن التغيرات التي حدثت في المجتمع وغيرت انماط الانتاج من يدوية الى آلية والفت التخصص الحرفي بحيث اصبح العامل فرداً في مجموعة الانتاج المتماثلة جعلت البدلة الزرقاء علامة عمال المصانع على اختلاف انواعها، اذ انتقلت المهارة الحقيقية من الانسان الى الآلة.

وعلى مستوى المجتمع الكبير وخصوصاً المجتمعات ذات التنوع الثقافي ، تكون القاعدة الاساسية في طلب التشابه بين اعضاء المجموعة الثقافية الواحدة مع الحاجة الى تمييز المجموعة عن غيرها برموز ذات معنى تؤكد خصائصهم القومية او الثقافية المنحدرة من تأريخهم فيعملون على تأكيد الحفاظ على هذه الخصائص بان يسرحوا شعورهم بطريقة خاصة ويلبسون ملابس مميزة ويتصرفون بشكل مميز.

فاذا سرت في سوق من الأسواق لم يصعب عليك ان تميز كل فرد من الأفراد الذين تقابلهم اذا كنت ملماً برموزهم لأنهم يعملون الى تمييز انفسهم حتى اذا عرفت من هم امكنك أن تعرف بالضبط ما يمكنك أن تتظره منهم وكيف تعاملهم فتم العلاقات الانسانية في الأمكنة المزدهمة يسرومن غير احتكاك. (٢٥)

وهكذا يمكن معرفة كل ما يحتاج معرفته عن الفرد لبدء التعامل معه بلمحة واحدة ، كأن تعرف قوميته ولغته ودينه وحرفته ومقدار ثروته . وقبل الاقتراب منه فنعرف كيف يجب ان نتصرف معه وأي سلوك نتوقع منه . وهذه الرموز المميزة تسهل عملية التفاعل الاجتماعي في مجتمع متنوع فهسي توفر على الناس الأسئلة المخرجة والصمت أو الغضب . ولما كان التغير قانوناً يحس المجتمعات بعصاه السحرية فيحدث تحولات في تفكير الناس وفي مواقفهم واتجاهاتهم وقيمهم بفعل عوامل التغير الداخلية وعوامل الاحتكاك الحضاري مما يزيد من اواصر التقارب بين الناس ويؤدي الى اضمحلال الفروق الثقافية بفضل شيوع استخدامات جديدة للتكنولوجيا أدت الى تغير في الأدوار وأصبح الموقف والدور والمكانة اكثر ارتباطاً بقيم جديدة لاعلاقة لها بالأصل والمولد والديانة وغيرها الامر الذي قلل من حساسيات التضادم .

ويفضل انتشار التعليم والتأثير الواسع لوسائل الاتصال الجماهيري التي يتعرض لها الجميع حلت مفاهيم داعية الى الانسجام بدل الاختلاف فالمجتمع الحديث «بحاجة الى رجال يتعاونون في يسر في مجموعات كبيرة ، أذواقهم متحدة متساوية ومن السهل التأثير فيهم ، فهناك ضرورة للتجانس وهي سلطة جديدة معنوية وغير شخصية» . (٢٦)

وهكذا يبدأ التخلي التدريجي عن رموز الأزياء التي تمثل علامات الحدود بين الافراد ويحل محلها لباس موحد حديث يجعل من البديهي التفكير بان الرمز الجديد يعبر عن إمكانية حصول التفاعل الاجتماعي بين الأفراد بغض النظر عن موروثاتهم القبلية والدينية والاجتماعية.

وهكذا كلما ازدادت مساحة العقليّة الداعية الى المساواة والديمقراطية والتجانس ضعفت الحاجة الى اعلان التمايز وأقتربت الملابس من التماثل.

المواش

- (١) هوكر، ترنس، النبوية وعلم الأشارة، ترجمة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٦. ص ١١٥.
- (٢) سورة الأعراف، آية ٢٢.
- (٣) سفر التكوين، فصل ٣، ٨.
- (٤) المتيل، فوزي، بين التولكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٨، ص ٣٣١.
- (٥) نفس المصدر والصفحة.
- (٦) الثوري، قيس، المدخل الى علم الانسان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، موصل، ١٩٨٢، ص ٢٧٦.
- (٧) الخادم، سعد، الأزياء الشعبية، المكتبة الثافية، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، مطابع دار القلم، القاهرة، مصر، ١٩٦١، ص ١٠٠-١٠١.
- (٨) الآلوبي، عادل «الأزياء الصوفية ومدلولاتها الفكرية»، مجلة التراث الشعبي، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العدد ١٠، ١٩٧٠، ص ٥٠.
- (٩) هوكر، ترنس، مصلر سابق، ص ١٢٣.
- (١٠) المتيل، فوزي، مصلر سابق، ص ٣٤١.
- (١١) صبيحة رشيد وشدي، الملابس العربية وتطورها في العهد الإسلامية، مطبعة علاء، بغداد، ١٩٨١، ص ٩٠.
- (١٢) كون، كارلتون، القاظة، (قصة الشرق الأوسط)، ترجمة يوهان دجاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩، ص ٢٤١.
- (١٣) الخادم، سعد، مصلر سابق، ص ٩٨.
- (١٤) صبيحة رشيد، مصلر سابق، ص ٩١.
- (١٥) الآلوبي، عادل، مصلر سابق، ص ٥٥.
- (١٦) نفس المصدر، ص ٥٦.
- (١٧) الآلوبي، عادل، المصلر السابق، ص ٥٥.
- (١٨) نفس المصدر، ص ٥٥.
- (١٩) الجادر، وليد، الملابس الشعبية في اسواق حلب، الهيئة العامة للطباعة والطباعة، دمشق، ١٩٧٥، ص ٣٣.
- (٢٠) الجادر، وليد، مصلر سابق، ص ١٢١.
- (٢١) كون، كارلتون، مصلر سابق، ص ٣٣١.
- (٢٢) مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، دراسات في الاجتماع والاثنوبولوجيا، دار الفانيات، دمشق، ١٩٧٢-٣٧٣.

- (٢٣) نفس المصدر السابق، ص ٤١٦ .
 (٢٤) الخادم، مصدر سابق، ص ٣ .
 (٢٥) كون، كارلتون، مصدر سابق، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
 (٢٦) فروم، أريك، المجتمع السليم، تعريب محمود محمود، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٠، ص ٧٩ .

المصادر

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الكتاب المقدس «العهد القديم» .
- ٣- آلونسو، عادل «الأزياء الصوفية ومدلولاتها الفكرية» [مجلة التراث الشعبي] وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العدد ١٠، ١٩٧٣ .
- ٤- الجادر، وليد [الملابس الشعبية في العراق] المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، سلسلة فنون رقم (١)، بغداد، بدون تاريخ .
- ٥- الخادم، سعد [الأزياء الشعبية] المكتبة الثقافية، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، مطابع دار القلم، القاهرة، ١٩٦١ .
- ٦- رشدي، صبيحة رشيد [الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية] مطبعة علاء، بغداد، ١٩٨١ .
- ٧- العتيل، فوزي [بين الفولكلور والثقافة الشعبية] الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٨ .
- ٨- فروم، أريك [المجتمع السليم] تعريب محمود محمود، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٠ .
- ٩- كون، كارلتون [القافلة] ترجمة برهان دجاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩ .
- ١٠- مجموعة من اساتذة علم الأجناع [دراسات في علم الأجناع والانثروبولوجيا] دار المعارف، مصر، ١٩٧٥ .
- ١١- هوكز، ترنس [البنوية وعلم الأشارة] ترجمة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام بغداد، ١٩٨٦ .